



قصة قارون

04 برنامج أمل وانتصار

الدرس السادس عشر - شرح الآيات 76-78

2019-10-25

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين وعلى صحابته الغر الميامين أمناء دعوته وقادة ألوته وارض عنا وعنهم يارب العالمين، وبعد.
ما زلنا في سورة القصص، ومع اللقاء السادس عشر اليوم من لقاءات هذه السورة، وموضوعه قصة قارون.

الربط بين قصتي موسى مع فرعون وقارون

نحن قلنا سابقاً أن سورة القصص تضمنت قصتين:

* قصة موسى مع فرعون

* وقصة قارون

وبينهما أخذنا السياق القرآني إلى جو لطيف من العبر والمواعظ والآيات الكونية وغير ذلك مما أنهيناها في اللقاء السابق.
الآن قصة قارون، قال تعالى:

يَسْمُ اللّٰهُ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيْمُ
إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِهُ لَتَتَوَّىٰ بِالْغَصْبَةِ أُولَىٰ ۚ الْقُوَّةُ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

(سورة القصص: الآية 76)

(إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) هذا الربط بين القصتين؛ قارون من بني إسرائيل من قوم موسى، هو رجل كان صاحب القوة الإقتصادية في منظومة الفساد، في منظومة الطغيان، أو في منظومة الاستبداد، فرعون كان يمثل القوة الطاغية، الاستبداد السياسي بالمعنى الحديث، يقوم بالفرقة بين بني إسرائيل (وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا)، يظلم (يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ)، مجرم، يفسد في الأرض (إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)، هذه صفات الفرعونية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُدِّبُ أَتْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ

(سورة القصص: الآية 4)

الآن لا بد من شخص يمسك الاقتصاد بالعرف الحديث، العصب الإقتصادي، تتجمع الأموال في يده، هذا من تمام الفساد السياسي أو الاستبداد المجتمعي أن يكون هناك من يمسك الاقتصاد، لأن الناس إذا استراحت مالياً وتوزع المال في أيدي كثيرة فعندها يستطيع الناس أن يفكروا، لأن الإنسان إذا تحققت حاجاته اتجه إلى الحاجات العليا وهي التفكير.

حاجات الإنسان عليا ودنيا

الحاجات الدنيا: طعامه، شرابه، شهواته، سواء كان ذلك في الحلال أو في الحرام لكن هي حاجات، المؤمن يحققها في الحلال، وغير المؤمن يحققها من ما حلال ومن ما حرام.



الحاجات العليا تبدأ بعد الحاجات الدنيا

الحاجات العليا: هي التفكير، العقل، المحاكمة، التذكر، التفكير، الإنسان متى يقرأ كتاباً؟ عندما يكون عنده استراحة داخلية، طعامه مؤمن، شرابه مؤمن، عائلته مريحة، يجلس ويفتح كتاباً ويقرأ، فالحاجات العليا تبدأ بعد تحقيق الحاجات الدنيا في الأعم الأغلب.

فلذلك من منظومة الاستبداد والفساد السياسي أن يكون هناك فساد اقتصادي فيتجمع المال في أيدي قليلة وتحرم منه الكثرة الكثيرة، وهذا سبب تحريم الربا.

سبب تحريم الربا

الحكمة من تحريم الربا: أن الربا يُجمّع الأموال في أيدي قليلة ويحرم منها الكثرة الكثيرة، ففي منظومة الاقتصاد الإسلامي الأعمال تلد المال، وفي منظومة الاقتصاد الربوي إن صح التعبير المال يلد المال.



لا يجوز للمال أن يلد المال

نحن عندما شرعاً لا يجوز للمال أن يلد المال، لذلك نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع الدين، يعني أنت لك دين عند فلان فتقول أبيعك هذا الدين، هو الدين مئة ألف أعطني ثمانين ألف وحصله أنت منه، لا يوجد عمل، لا يوجد واسطة (عمل)، لا يوجد سلعة، فهذا حرام، فالأموال عندما تلد المال تتجمع الأموال بعد حين في أيدي قليلة وتحرم منها الكثرة الكثيرة، يصبح هناك فقر مدقع في المجتمع، ونقول: "كاد الفقر أن يكون كفراً" كما قال سيدنا علي رضي الله عنه، لأنه يخرج الإنسان عن مبادئه وقيمه إلا إن كان ذا إيمان ثابت عميق مؤصل عندها لا تنبيه سبائك الذهب اللامعة ولا سباط الجلادين اللاذعة عن دينه، ولكن هؤلاء ليسوا الكثرة الكثيرة في المجتمع بشكل عام.

إذاً هذه قصة فارون: فارون يمثل القوة الاقتصادية،

إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ

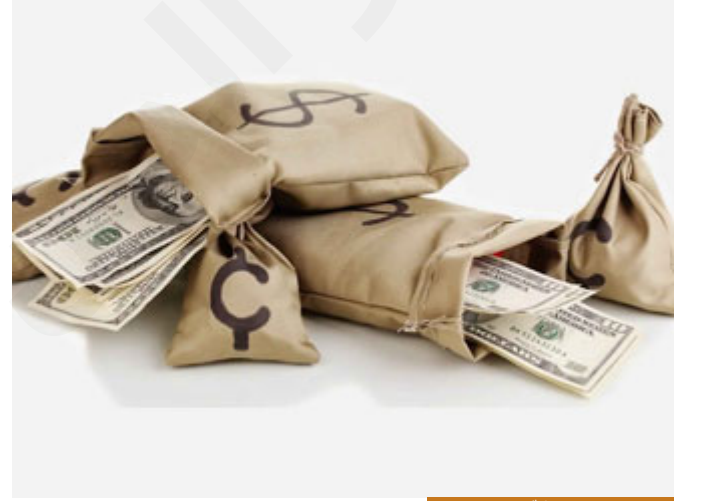
(سورة القصص: الآية 76)

(فَبَغَى عَلَيْهِمْ) البغي هو مجاوزة الحد، الظلم، الظلم هو بغي، بغي عليهم: ظلمهم، قارون ظلمهم بالظلم الاقتصادي، فرعون ظلمهم الظلم السياسي أو الاستبداد.

توصيف كنوز قارون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَقَابِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ

(سورة القصص: الآية 76)



الكنز هو شيء جُمع فوق بعضه

(الكنوز): جمع، مفردة كنز، وهو الكنز في الأصل لا يدل إلا على شيء مجموع، يعني هو المفرد يدل في دلالته على جمع، يعني لا يقال لإنسان عنده مئة دينار كنز، يقال لمن عنده آلاف مؤلفة من الدنانير، يعني هو في الأصل الكنز هو شيء جُمع فوق بعضه فكنزه الإنسان ولم ينفق منه، فالكنوز غالباً هي الأشياء الفائضة عن حاجتك الأصلية، لذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِصَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ

(سورة التوبة: الآية 34)

(يَكْنِزُونَ)، فمتى يكون الإنسان عنده كنز؟ عندما لا ينفق منه في أقل الأحوال زكاته، يكتنزه، يخبئه، وهذا شأن الإنسان عندما:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ * أَن رَّآهُ اسْتَعْتَصَمَ

(سورة العلق: الآية 6-7)



يبدأ الإنسان بالكنز في مرحلة الترف

متى يبدأ الإنسان بالكنز؟ عندما يدخل في مرحلة الترف، (أترقوا)، الفاضل، يؤدي حاجاته، الضروريات والكماليات والتحسينيات والترف ويزيد عنده ما يكتنزه. فقال: (وَأَيُّهَا مِنَ الْكُنُوزِ) هنا (وَأَيُّهَا) لأن الله هو المؤتي، الله عز وجل هو الذي يؤتي وهو الذي ينزع، فهذه الكنوز إيتاء من الله تعالى. قال: (وَأَيُّهَا مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ) مفاتيح جمعها مفاتيح ومفاتيح، وهي التي يفتح بها الخزن أو الغرف التي تتجمع فيها تلك الكنوز. (وَأَيُّهَا مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ) (لَتَنُوءُ) أي لنعجز وتتعب.

(بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّة) العصبة: هم المجموعة من الناس، قد تكون سبعة، ثمانية، تسعة، عشرة، عصبة من الناس، والعصبة تطلق في الخير وتطلق في الشر، إلا أنه في مصطلحاتنا الحديثة نقول عن القوم الأشرار عصابة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ناجى ربه في بدر قال:

{ اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ فَلَنْ تُعْبَدَ فِي الْأَرْضِ }

(صحيح مسلم)



العصبة تطلق على الخير والشر

فالعصبة مجموعة تطلق على الخير وتطلق على الشر، لكن أحياناً المصطلحات تتوجه باتجاه معين وفق استخدامات الناس. (بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّة) ليست العصبة من الناس العاديين وإنما الأشرار، الذين آتاهم الله ببسطة في الجسم، قوة، ما الذي ينوء بهم؟ ليست الكنوز وإنما مفاتيح الكنوز، يعني أن تحمل المفاتيح، فإذا كانت المفاتيح يعجز عن حملها ويتعب بحملها الرجال الأشرار المجتمعون، فكم هي الكنوز؟! انظر إلى السياق القرآني :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَيُّهَا مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّة

(سورة القصص: الآية 76)

مفاتيحه تتعب الرجال الأشرار الأقوياء مجتمعين، فكيف هي الكنوز؟! إذاً هذا الرجل أصبح مُترقاً إلى حد يفوق الخيال، الآن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُجِبُ الْفَرِحِينَ

(سورة القصص: الآية 76)

(قَوْمُهُ) قومه بنو إسرائيل.

الإسلام وسلوك الإنسان



أي منهج يتدخل في سلوك الإنسان

الإسلام العظيم يتدخل في سلوك الإنسان وهذا شأن أي منهج في الأرض، سواءً كان منهجاً سماوياً أو وضعياً، الآن المنهج الوضعي ألا يتدخل في سلوكك؟ المناهج الوضعية، القوانين، ألا تتدخل في سلوكنا؟ ألا تمنعنا من تجاوز الإشارة الحمراء؟ ألا تمنعك المناهج الوضعية من أن تخرج وتبني مثلاً غرفةً على الشرفة؟ تأتي البلدية فوراً وتوقف البناء، فالمناهج الوضعية تتحكم في سلوك الناس، فمن باب أولى أن تتحكم المناهج السماوية، الشرائع السماوية تتحكم في سلوك الناس، يقول لك: لا ينبغي أن تذهب إلى هذا المكان، لا تقل إلا حقاً، لا تتجسس على الناس، لا تتتبع عوراتهم، لا تؤذهم بلسانك، لا تغتصب الناس، لا تنم بين الناس، هذا كله تدخل بالسلوك البشري من أجل أن يرسم لك طريق النجاة.

القوانين الإلهية ترسم للإنسان طريق النجاة، في الدنيا وفي الآخرة، طريق السلامة وطريق السعادة، السلامة بالإمتناع عما يؤذيه من الأعمال والأقوال والأفعال، والسعادة بفعل الصالحات وإسعاد الآخرين، هذه مناهج القرآن الكريم ومنهج أي تشريع سماوي، لكن عندما ننظر في قوله تعالى: (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ) هناك كلام على لسان قوم قارون، هل يتدخل الإسلام في مشاعر الإنسان أيضاً؟ نعم الإسلام يتدخل في مشاعرنا، الله تعالى يقول:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ قِيدُ لَكَ قَلْبَقْرُحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

(سورة يونس: الآية 58)

الفرح والحزن في الإسلام

(قُلْ يَفْضَلِ اللَّهُ وَبِرَحْمَتِهِ قِيدُ لَكَ قَلْبَقْرُحُوا) هناك مكان ينبغي أن تفرح فيه، الله تعالى يأمرك أن تفرح،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالَّذِينَ آمَنُوا هُمْ أَكْبَرُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

(سورة الرعد: الآية 36)



متى يأمرك الإسلام بالفرح؟

يأمرك أن تفرح بالوحي، عندما تقرأ آية قرآنية وتفهمها فهماً عميقاً مؤصلاً تفرح بذلك وهذا فرح مشروع، فالإسلام في مكان ما يأمرك بالفرح، ينبغي أن تفرح، عندما يأتي عيد الفطر وعيد الأضحى يجب أن تفرح، يأمرك الإسلام بالفرح، والفرح ليس سلوكاً وإنما شعور قد يغير عنه السلوك.

{ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَهُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ }

(أخرجه البخاري ومسلم)

هذا فرح، ولكن بالوقت نفسه هناك أمور يجب أن لا تفرح بها، هو الإسلام في الأصل بحث على الفرح وينهى عن الحزن، والحزن لم يأت في القرآن إلا منهياً عنه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا

(سورة التوبة: الآية 40)

الحزن منهى عنه، الحزن الذي يجعل القلب كميئاً مليئاً بالمشاعر السلبية التي تقعد الإنسان عن العمل هذا حزن منهى عنه، أو الذي يقود الإنسان إلى كلام لا يرضي الله أو إلى فعل لا يرضي الله، الحزن في القلب يحصل مع كل إنسان لكن أن يدوم الحزن إلى درجة أن يقعد الإنسان عن الأعمال وعن الخيرات فهذا حزن غير مشروع، لا ثمت قلبك ههنا، دائماً كن جميلاً ترى الوجود جميلاً.

النهى عن الفرح في مواقف محددة

لكن الإسلام أيضاً ينهى عن الفرح في مناطق محددة

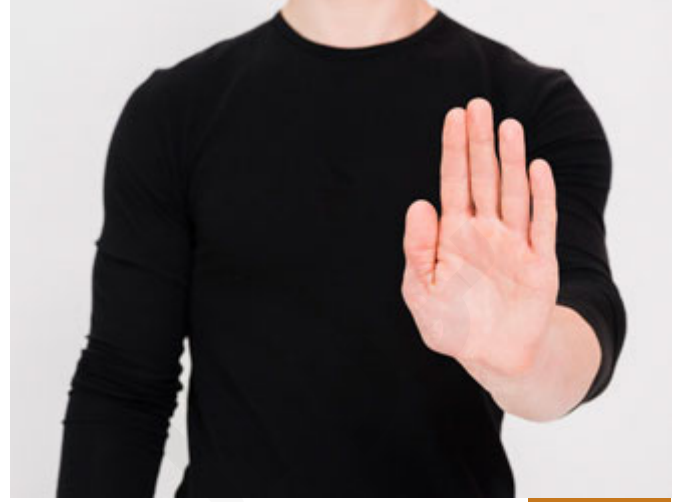
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا تَفْرَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ

(سورة القصص: الآية 76)

الذي يفرح بمصيبة نزلت بأخيه المؤمن (إِنْ تَمَسَّسَكُمْ خَسَنَةٌ تَشُوهْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا) هؤلاء المنافقون.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا

(سورة آل عمران: الآية 120)



المحرم من الفرح

يعني هناك منطقة بالفرح محرمة، تأتي مصيبة لأخيك فتفرح أنت لهذه المصيبة التي حلت به هذه علامة نفاق، إذا هناك فرح مذموم وهناك فرح ممدوح ومحمود عند الله تعالى. الفرح بالدنيا عندما يقود إلى معصية الله فرح مذموم، لماذا أقول عندما يقود إلى معصية الله؟، في الصحيح:

{ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِصَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْثِ) ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) - (سورة آل عمران: الآية 14) - قال عمر رضي الله عنه: «اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَ لَنَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أَنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ» {

(صحيح البخاري)

(الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ) يعني اليوم السيارات الحديثة. انظروا إلى فقه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: "اللَّهُمَّ إِنَّا لَا نَسْتَطِيعُ إِلَّا أَنْ نَفْرَحَ بِمَا زَيَّنْتَ لَنَا" يعني أنت يارب زَيَّنْتَ لنا البنين والنساء والقناطر المقنطرة، في الحلال طبعاً، يعني يفرح بالحلال، فقال: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ أَنْفِقَهُ فِي حَقِّهِ". يعني أنا سأفرح بهذه السيارة الجديدة لكنها لن تقودني إلى معصية الله، ولن يركب معي فيها إنسان في غضب الله، وإنما في طاعة الله، فهذا فرح لكن فرح لم يعد مذموماً مع أنه فرح بالدنيا لأنه ما قاد إلى معصية، أما فارون فعندما قال له قومه (لَا تَفْرَحْ) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) وأثبتها الله في قرآنه (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) أي لا يحب الفرحين الذين يفرحون بالمال فيكنزونه، أو يفرحون بالمال فيمنعونه عن عباد الله، أو يفرحون بالمال فيستعلون به على عباد الله، لذلك:

{ كُلُوا ، وَاشْرَبُوا ، وَتَصَدَّقُوا ، وَابْتَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَ لَا مَخِيلَةٍ {

(رواه البخاري)

لا تسرف ولا تستعلي على عباد الله تعالى. فهنا (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) إذاً صنف من الناس لا يحبهم الله يفرحون بالدنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بماذا يفرح المؤمن؟

(وَقَرِّحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا) دَمَّهَمَ اللهُ تَعَالَى، الْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِالْآخِرَةِ، الْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِخَيْرِ أَجْرَاهِ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، الْمُؤْمِنُ يَفْرَحُ بِرِزْقِ سَاقِمِ اللهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَخْدِمَهُ فِي الطَّاعَاتِ وَأَنْ يَتَقَرَّبَ بِهِ إِلَى رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، لَكِنَّهُ لَا يَفْرَحُ بِالدُّنْيَا فَرَحًا بِحَيْثُ تَمْلِكُهُ الدُّنْيَا وَتَسَيِّطُ عَلَيْهِ (وَقَرِّحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ). (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) انْظُرْ إِلَى الْقَوْمِ النَّاصِحِينَ، قَوْمِهِ نَاصِحُونَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، هَذَا قَارُونَ مِنْ بَقَايَا فِرْعَوْنَ لَكِنْ بَعْدَ أَنْ آمَنَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، الْقِصَّةُ لَا تَذَكِّرُ الْمَكَانَ وَالزَّمَانَ بِالتَّفْصِيلِ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ مِنْهَا هُوَ نُمُودَجٌ بَشَرِيٌّ مُتَكَرِّرٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ، فِي كُلِّ زَمَانٍ يَوْجَدُ فِرْعَوْنَ وَفِي كُلِّ زَمَانٍ يَوْجَدُ قَارُونَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ يَوْجَدُ إِنْسَانٌ يَسْتَعْلِي عَلَى النَّاسِ بِقُوَّتِهِ الْخُكْمِيَّةِ أَوْ الْاسْتِبْدَادِيَّةِ، وَيَوْجَدُ إِنْسَانٌ يَسْتَعْلِي عَلَى النَّاسِ بِقُوَّتِهِ الْمَالِيَّةِ، فِقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ نُمَاذِجٌ مُتَكَرِّرَةٌ لِذَلِكَ لَمْ يَأْتِ تَفْصِيلُ مَكَانِهَا وَلَا زَمَانِهَا، لَكِنْ يَبْدُو أَنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ خِلَالِ حَدِيثِهِمْ هُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاضِحٌ مِنْ يَقُولِ هَذَا الْكَلَامِ: (لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)؟!

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأُخْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْقُفُوسَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

(سورة القصص: الآية 77)

لم يأمر الإسلام بترك الدنيا بل أمرنا ألا نخدم الدنيا

الآن قال: (وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) يوجهونه لا تستغني عما آتاك الله أباه، يعني ليس المطلوب منك أن تتخلي عن الدنيا، لو أراد قارون أن يتوب الآن ما الذي يفعله؟ نقول له: ألقِ بمفاتيح كنوزك في البحر؟ لا، نقول له: (وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) أبقِ ما عندك من مال ولكن اجعله مطيعة لك إلى الآخرة، اجعله في ملكك ولا تجعله يملكك، المال عندما تملكه تتحكم فيه لكنه عندما يملكك يتحكم بك، الدنيا كلها من يملكها يتحكم بها.

وقد ورد في بعض الآثار:

"أوحى الله إلى الدنيا أن من خدمني فإخدميه ومن خدمك فاستخدميه"

(من خدمني) عن طريق خدمة عباد الله، كيف تخدم الله؟ وهل الله بحاجة لنا؟ لكن أنت عندما تعلي كلمة الله، وعندما تساعد عباد الله فهذه كأنها خدمة لله.
(من خدمني فإخدميه) يجعل الله تعالى الدنيا في خدمتك تأتيك وهي راغمة.
(ومن خدمك) جعل نفسه في خدمة الدنيا.
(فاستخدميه) تجعله الدنيا خادماً لها، تستخدمه الدنيا.



أمرنا الإسلام أن نتحكم في الدنيا

فأنت بين أن تكون الدنيا في خدمتك أو أن تكون أنت في خدمة الدنيا، توجيه خطير ومصيبة كبيرة في التوجيه الإسلامي خاصة في بعض العصور المتأخرة عندما قيل: استغنوا عن الدنيا، لا، أبداً، أبداً، الإسلام لم يحثنا على ترك الدنيا، لكن الإسلام أمرنا ألا نخدم الدنيا، لكن الإسلام أمرنا أن نتحكم في الدنيا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا

(سورة هود: الآية 61)

(وَأَسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا) بمعنى الاستعمار الحقيقي لا بمعنى الاستعمار، الاستعمار الفرنسي والبريطاني والإيطالي هذا استعمار وليس استعمار، لكن الاستعمار الإسلامي هو أن تعمّر الأرض بالخير،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ

(سورة ص: الآية 26)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً

(سورة البقرة: الآية 30)

فالله تعالى لما أمرنا أن نكون في الدنيا لم يأمرنا أن نترك الدنيا، المسلمون أو بعضهم فهموا أنهم ينبغي أن يتركوا الدنيا، هذا فهم مغلوط، الدنيا لا تُترك، لأننا إن تركناها أخذها غيرنا وتحكم بنا من خلالها، هذه مصيبة، أنت عندما تترك الدنيا هل ستترك بدون أن يأخذها أحد؟ هناك غيرك سوف يأخذها وعندما يأخذها غيرك ستصبح أنت خادماً عنده.



الدنيا لا تُترك

مرَّ عمر بن الخطاب يقوم قد تركوا العمل، لا يعملون، فنظر في أهم الحرف، أهم الصناعات، أهم التجارات، فوجدها في أيدي غير المسلمين، فقال لهم: ما هذا؟ فتعلَّلوا له، قالوا: سخرهم الله لخدمتنا، قال: كيف بكم إذا أصبحتم عبيداً عندهم؟ ففهم عملاق الإسلام أن المنتج هو القوي وأن المستهلك هو الضعيف، فالذي ينتج سلاحه قوي، والذي ينتج لباسه قوي، أما عندما نليس شيئاً لا ننسجه، ونأكل شيئاً لا نزرعه، ونقاتل بسلاح لم نصنعه، فهذه وصمة عار بحق الأمة.

إذاً انظر إلى قوله تعالى: (وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ) فقط، (وَاتَّبِعْ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ) لا تتركه، لكني ابتغ به الدار الآخرة، أي اعمل به لإعمار الأرض، اعمل به لخدمة الناس، اعمل به لمساعدة الفقراء، اعمل به ليوصلك إلى الجنة بسلام، (وَاتَّبِعْ) أي واطلب بهذا الذي (آتَاكَ اللَّهُ) إِيَّاهُ (الدَّارَ الْآخِرَةَ)، ثم قال:

يَسْمُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ
وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا

(سورة القصص: الآية 77)

نصيب الإنسان من الدنيا

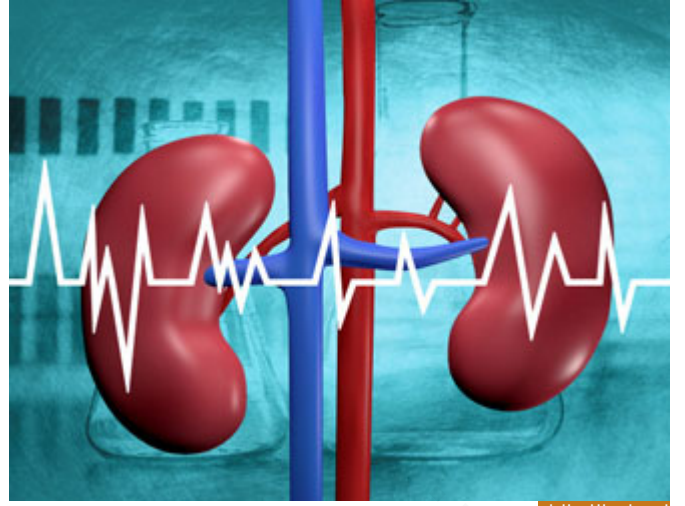
(وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا) هنا يوجد معنيين: المعنى الأول: (وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا) يعني لا تترك الحلال من الدنيا، هناك متع في الدنيا حلال لا تَنْسَ نصيبك منها، هذا بوافق المعنى الذي قلناه أن الله تعالى لم يأمر بترك الدنيا، تاجر: اكسب مالا، اركب سيارةً دون أن تستعلي على عباد الله، حقق دخلاً يكفي طعامك وشرابك وكفافك، يكفيك وأهلك لا يحيجك ولا يحيجهم إلى السؤال والطلب من الآخرين، (وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا)، تزوج، ادرس، حصل شهادةً عليا، كن شيئاً مذكوراً في الحياة، (وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا). المعنى الثاني: أي ولا تنس أن الدنيا فيها من الأعمال الصالحة ما يكون نصيبك في ابتغاء الدار الآخرة، لك نصيب في الحياة الدنيا، ما هذا النصيب؟ النصيب أن تعمل الصالحات، النصيب أن تطعم الفقراء، النصيب أن تسعد الآخرين، (وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا) الذي يعينك على أن تبتغي فيما آتاك الله الدار الآخرة، هذان معنيان.

المبادرة بالإحسان دون انتظار



النصيب هو العمل الصالح

(وَلَا تَنْسَ تَصِيَّتَكَ مِنَ الدُّنْيَا) وأحسن كما أحسنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) هنا يوجد تشبيه: يعني أحسن إحساناً يشابه إحسان الله إليك، بالمعنى المتبادر إلى ذهن فوراً: أحسن الله إليك فأحسن إلى عباده، جميل جداً، الله تعالى أحسن إليك، الآن لو أعددت إحسان الله إليك لما وسعته المجلدات،



إحسان الله إليك

أما أعطاك أمّا وأيّاً؟ أما يكفيك الآن من طعامك وشرابك؟ أليست الكليتان تعملان بانتظام؟ أليس الكبد يقوم بوظائفه من غير حول منك ولا قوة؟ أليس القلب يضخ وينبض ويوزع الدم إلى أنحاء جسمك؟ أليست تمشي على قدمين لا تحتاج إلى أحدٍ ليعينك؟ أليست مسلماً؟ هذا كله من إحسان الله إليك، لو عددت نعم الله عليك لما وسعتها الكتب.



المبادرة بالإحسان

فأنت أحسن، أحسن إلى الناس، أعطى مما أعطاك الله، أعطهم من المال من العلم من الخبرة من القوة من الجاه، أنفق في سبيل الله، لكن لو غصنا في الأعماق قليلاً (وأحسن كما أحسن الله إليك) يعني ينبغي أن يكون إحسانك شبيهاً بطريقة إحسان الله إليك، الله تعالى بذاك بالإحسان، بادرِك بالإحسان من قبل أن يكون منك أي بادرة، لما خلقك الله هل قدمت شيئاً في مقابل ما أعطاك الله؟ أبداً، بذاك بالإحسان، فأنت أبداً الناس بالإحسان ولو لم يبدأوك بالإحسان، يعني فليكن إحسانك مشتقاً من إحسان الله تعالى، تعلم من إحسان الله، الله تعالى أحسن إليك ابتداءً دون طلب ودون مبادرة، فإذا أردت أن تحسن إلى الناس فلا تنتظر حتى يأتوا إليك ويتذلّلوا على بابك، ابدأهم بالإحسان، تعلم من إحسان الله تعالى، الله تعالى عندما يسيء العبد يقابله بالإحسان أم بالإساءة؟ بالإحسان جل جلاله يقابل العبد، مرة ومرتين وثلاثة وعشرة، فإذا قابله ربنا جل جلاله بالتأديب فلمصلحته وهذا نوعٌ من الإحسان من الله أيضاً، فأنت لو أساء إليك مخلوق فلا يكن منك ردٌ بالإساءة وإنما قابل إساءته بالإحسان.

الآن الله تعالى حين يحسن إلى عباده هل يميز بين مؤمنهم وكافرهم؟ قال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِزْرُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا

(سورة البقرة: الآية 126)

قال سيدنا إبراهيم (وازرُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) ماذا قال تعالى؟ (قَالَ وَمَنْ كَفَرَ) لا تحجّر واسعاً يا إبراهيم، لا تحجّر، (قَالَ وَمَنْ كَفَرَ) لكن (فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا) هذا متاع الدنيا للجميع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
كَلَّا تُمَدِّدُهُمْ هُؤَلَاءِ وَهَؤَلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ

(سورة الإسراء: الآية 20)

فأنت عندما تحسن إلى الناس أيضاً أحسن كما أحسن الله إليك، فلا تعامل شخصاً دون شخص، لا تقل هذا أحسن إليه لأن هذا من قبيلتي أو من جماعتي أو من عشيرتي، وهذا لا أحسن إليه لأنه من بلدٍ آخر، ليكن إحسانك عاماً شاملاً إنسانياً، هذا من معاني (وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) يعني لو قضيت فيها وقت اليوم في قوله تعالى: (وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ) تأمل في إحسان الله واجعل إحسانك كإحسان الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ

(سورة القصص: الآية 77)

الفساد في الأرض مفهومه وأنواعه

(وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ) ما هو الفساد؟ الفساد هو إخراج الشيء عن طبيعته، الحكمة: وضع الشيء في موضعه، الفساد: إخراج الشيء عن طبيعته، غير مفهوم الحكمة. يعني: أنت إذا وضعت كمية من اللبن فترة طويلة من الزمن دون شروط الحفظ ما الذي يحصل باللبن؟ يفسد، الآن هل اللبن في الأصل طبيعته هذه أم هذا فسادٌ لحق به؟ هذا فساد، فلما خرج اللبن عن طبيعته فإنما فسد، فالفساد هو أن يخرج الشيء عن طبيعته.



المرأة مصدر خير في المجتمع

الآن كيف يكون الفساد في الأرض؟ الله تعالى خلق المرأة لتكون أمّاً أو زوجةً أو أختاً، خلقها لتكون مصدر خير في المجتمع، مصدر حنان، فلما جاء أهل الأهواء أرادوا أن يسوقوا لمنتجاتهم فجعلوا المرأة سلعةً فافسدوها لأنهم أخرجوها عن طبيعتها، المرأة خرجت عن طبيعتها، الله أرادها أن تكون أمّاً في بيتها تقوم بأعظم مهمة، فجاءوا وقالوا لها لماذا تبقي في البيت؟ أنت مساوية للرجل تماماً قومي واعلمي معه، فخرجت إلى الطريق فتركت الأولاد في البيت للخادمة، فصلّ الأولاد الطريق، وأنشئ جيلٌ فاسد لا يرضي الله، وهي أغريت بالدنيا، فخرجت ثم تبرجت، ثم، ثم، ثم، فأفسدت المرأة، هذا هو الفساد هو إخراج الشيء عن طبيعته، هذا في المعنويات. طبعاً ليس الإفساد للمرأة فقط، الرجل له إفساد، ربنا عز وجل خلق الابن ليكون باراً بأبويه، ليكون ضمن أسرة، فلما قيل له أنت رجل تستطيع أن تفعل ماشئت لا تحتاج أمّاً ولا تحتاج أباً، أفسد، فالإفساد لا أقصد بالمرأة فقط هي مصدر الفساد، لا.

لكن هناك شيان عظيمان في حياتنا خرجا عن طبيعتهم فأفسدا الحياة : المرأة، والمال عندما أخرج عن طبيعته.

المال وجد في الأصل ليكون قوام الحياة، فأخرج المال عن طبيعته وأصبح مصدراً للكنز، كما حصل مع قارون عندما بغى الفساد في الأرض، المال لم يُخلق ليوضع في البنوك وليُمنو وفق القوانين الربوية ويُنمّر ويُنكّر، المال قوام الحياة :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأَنذَرْتَهُمْ مِّن مَّالٍ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ

(سورة النور: الآية 33)

له وصف في القرآن، فالمال عندما أخرج عن طبيعته، والمرأة عندما أخرجت عن طبيعتها، وقعنا في مطبات كبيرة، فهذان أعظم مصدرين للفساد: المال والمرأة، لكن ليس مقصوداً الفساد بهما، كل شيء يُفنيدهم يخرج عن طبيعته.



الفساد في الأمور المادية

الآن لو أخذنا الفساد في الأمور المادية: الله تعالى خلق البقر ليأكل العشب، هذه طبيعة الحياة، البقرة حيوان عاشب، يأكل الأعشاب وينتج الحليب، فجاؤوا وجمعوا لها طعاماً من مخلفات الحيوانات ومن العظام ومن كذا وأطعموها إياه لِيُسَمِّنَ البقرة، فَجَنَّ البقر، فاضطروا أن يطلقوا عليها النار ويقتلونها، فهم أفسدوا في الأرض،

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَبُهْلِكَ الْخَرْتُ وَالْثُّسُلُ ۖ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْقَسَادَ

(سورة البقرة: الآية 205)

ارجع إلى التاريخ قبل أن تكون هناك هذه المديتة الحديثة، الأمراض كانت العشر، وأقل من العشر، لأن الأشياء كانت على طبيعتها، الأغذية على طبيعتها، الطعام على طبيعته، القمح على طبيعته، لا يوجد هرمونات ولا يوجد إضافات ولا يوجد ما يُخ به النبات، تأخذ التفاحة من الشجرة تأكلها فوراً، الحجم صغير، اللون ليس أحمر كثيراً، لكن الطعم رائع، عندما أردنا اللون والطعم أخرجنا الشيء عن طبيعته، فصار هناك أمراض ومشكلات.

إِذَا (وَلَا تَبْغِ الْقَسَادَ فِي الْأَرْضِ) لا فساداً مادياً ولا فساداً معنوياً.



المصالح والأهواء وراء محاربتهم للإسلام

لماذا يبعون الفساد في الأرض؟ لأن دخلهم يقوم على الفساد في الأرض، اليوم لو توقف إفساد المرأة في الأرض، تقول الدراسات يلغى 60% من الدخل لكبريات الدول والشركات، 60% يتوقف دخلهم، فهم عندما يحاربون الإسلام إنما يحاربون لمصالحهم وأهوائهم، ستون بالمئة من الدخل في الأرض من إفساد المرأة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنْسَ تَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۚ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْقَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ

(سورة القصص: الآية 77)

(الْمُفْسِدِينَ) المفسدين وليس الفاسدين، طبعاً الله لا يحب الفاسدين، لكن هنا يتحدث ليس عن الفبياد الشخصي، الفساد الشخصي مشكلة لكنها محصورة، أما المُفسد مشكلته كبيرة، كما أن الله تعالى لا يهلك قريةً وفيها مصلحون وليس صالحين، (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ)، كذلك الله لا يحب المفسدين وليس الفاسدين فحسب، المفسدين الذين يعم فسادهم في الأرض، (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ

(سورة هود: الآية 117)

إنكار قارون لفضل الله عليه

الآن ما ردُّ قارون؟ قارون تحدثوا معه الآن، العاقل بعد هذا الحديث يتوب، يؤوب، يرجع، كلام منطقي، كلام جميل جداً، لم يأمره أن يتنازل عن ماله، ولم يأمره الله أن يتنازل عن ماله، ولم يأمره أن يلقي به ويصبح فقيراً يتوسل الناس، أبداً، فقط أحسين استخدام المال، لا تفسد به، اجعله وسيلة إصلاح لا وسيلة إفساد، لكن عندما يطغى الإنسان في الأرض ويتحكم في الأرض ويستعلي على عباد الله وينسى ربه، انظروا إلى الموقف:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي

(سورة القصص: الآية 78)

(قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) هذا المال من خبرتي، من جمعي، من تحصيلي، من قوتي، من معارفي، من مصالحي، من علاقاتي بالشركات، هذا المال جمعته من خلال عُمري، أنفقت فيه وقتاً وجهداً، ماذا تقول (وَاتَّبِعْ فِيمَا أَتَاكَ اللَّهُ)؟! هم يقولون: (آتَاكَ اللَّهُ) هو يقول: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ).



إنكار فضل الله تعالى

انظروا الآن هو (أُوتِيتُهُ) مني للمجهول، ما قال: إنما آتاني الله تعالى إياه عن علم، حتى إنه لم يتنازل أن يقول: إنما آتاني الله إياه، لكن بسبب علم مني، وإن كان هذا الكلام فيه بعد عن الحقيقة لكن إلى حد ما أفضل من هذا الكلام، أن الله آتاني المال لكن السبب مني، هذا يؤل حسب فائله وحسب معطيات، لكن هو يقول: (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) هو يعرف أنه قد أوتيه، لكنه بنى للمجهول من أجل أن لا يأتي بفضل الله عليه والعباد بالله، وهذا من أعظم نكران الجميل، من أعظم صور الخيانة.

روى البخاري في صحيحه:

{ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً فِي بَيْتِي إِسْرَائِيلَ: أَثَرَصَ وَأَقْرَعٌ وَأَعْمَى، بَدَأَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَى الْأَثَرَصَ، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْ كُنْتُ حَسَنًا، وَجِلْدُ حَسَنٍ، فَذَرْنِي النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ، فَأَعْطِي لَوْثًا حَسَنًا، وَجِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْإِبِلُ، - أَوْ قَالَ: الْبَقَرُ، هُوَ شَكٌّ فِي ذَلِكَ: إِنَّ الْأَثَرَصَ، وَالْأَقْرَعِ،

قَالَ أَخَذَهُمَا الْإِبِلُ، وَقَالَ الْآخَرُ: الْبَقَرُ - فَأَعْطَيْتَ نَاقَةً عَشْرَاءَ، فَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا وَأَتَى الْآفَرَعُ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ سَعَرُ حَسَنٍ، وَيَذْهَبُ عَنِّي هَذَا، قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ وَأَعْطَيْتَ سَعَرَ حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا، وَقَالَ: يُبَارِكُ لَكَ فِيهَا، وَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: يَرُدُّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، فَأُبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَزَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ الْعَتَمُ: فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا، فَأَتَيْتُ هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنْ إِبِلٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ بَقَرٍ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنْ عَتَمٍ، ثُمَّ إِنَّهُ أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مَسْكِينٌ، تَقَطَّعَتْ بَيَّ الْجِبَالِ فِي سَقَرِي، فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ، وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ، وَالْمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغَ عَلَيْهِ فِي سَقَرِي، فَقَالَ لَهُ: إِنَّ الْخُفُوقَ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ، فَعِيرًا فَأَعْطَاكَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: لَقَدْ وَرِثْتُ لِكَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْآفَرَعُ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: مِثْلُ مَا قَالَ لِهَذَا، فَزَدَ عَلَيْهِ مِثْلُ مَا رَدَّ عَلَيْهِ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ، وَأَتَى الْأَعْمَى فِي صُورَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مَسْكِينٌ وَابْنٌ سَبِيلٍ وَتَقَطَّعَتْ بَيَّ الْجِبَالِ فِي سَقَرِي، فَلَا بَلَاعَ الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغَ بِهَا فِي سَقَرِي، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَزَدَ اللَّهُ بَصْرِي، وَفَقِيرًا فَقَدْ أَعْتَانِي، فَخُذْ مَا شِئْتُ، قَوْلًا لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتُهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ أَمْسِكْ مَا لَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ {

(صحيح البخاري)

(ثَلَاثَةٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَفْرَعُ وَأَعْمَى) ثَلَاثَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبْرَصَ وَأَفْرَعُ وَأَعْمَى.

(أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُبْتَلِيَهُمْ) يَعْنِي أَنْ يَمْتَحِنَهُمْ، أَنْ يَنْظُرَ فِي أَعْمَالِهِمْ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَعْلَمُ وَلَكِنْ الْإِبْتِلَاءُ يَكُونُ لِنِقَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي النَفُوسِ.

(أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُبْتَلِيَهُمْ، قَبِعَتْ إِلَيْهِمْ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَجَاءَ الْأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: جِلْدُ حَسَنٍ قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ) الْبَرَصُ مَرَضٌ جُلْدِي.

(أَرِيدُ جِلْدًا حَسَنًا قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، فَمَسَحَهُ فَأَعْطَيْتُ جِلْدًا حَسَنًا، فَقَالَ: أَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْعَتَمُ، فَأَعْطَاهُ شَاةً وَالِدًا) عَنَمًا وَالِدًا جَاهِرَةً لِلشَّمِيرِ.

(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْآفَرَعِ فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: سَعَرُ حَسَنٍ قَدْ قَذَرَنِي النَّاسُ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَأَعْطَيْتُ سَعَرَ حَسَنًا، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْبَقَرُ، قَالَ: فَأَعْطَاهُ بَقَرَةً حَامِلًا) أَعْطَاهُ بَقَرَةً مَنُجًّا وَجَاهِرَةً لِلإِنْتِاجِ.

(فَذَهَبَ إِلَى الْأَعْمَى، فَقَالَ: أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ، قَالَ: بَصْرًا أَبْصِرُ بِهِ النَّاسَ، قَالَ: فَمَسَحَهُ فَزَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ، قَالَ: فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الْجَمَلُ، النُّوقُ، فَأَعْطَيْتَ نَاقَةً عَشْرَاءَ) أَيْضًا جَاهِرَةً لِلإِنْتِاجِ.

(فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ) وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ الدُّنْيَا.

(ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ الْمَلَكَ إِلَى الْأَبْرَصِ بِصُورَةِ رَجُلٍ أَبْرَصٍ) جَاءَهُ عَلَى هَيْئَةِ رَجُلٍ أَبْرَصٍ لِيَذْكُرَهُ بِمَاضِيهِ.

(قَالَ لَهُ: عَبْدٌ فَقِيرٌ تَقَطَّعَتْ بِي السَّبِيلُ، لَا بَلَاعَ لِي إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ يَكُ) لَا أَسْتَطِيعُ، ابْنُ سَبِيلٍ، مَقْطُوعٌ.

(لَا بَلَاعَ لِي إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ يَكُ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الْجِلْدَ الْحَسَنَ) أَنَا أَبْرَصٌ وَأَنْتَ جِلْدُكَ حَسَنٌ.

(أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ الْجِلْدَ الْحَسَنَ، شَاةً وَاحِدَةً) شَاةً وَاحِدَةً وَلَيْسَ الْوَادِي.

(شَاةً وَاحِدَةً أَتَبَلَّغَ بِهَا فِي سَقَرِي، قَالَ لَهُ: الْخُفُوقُ كَثِيرَةٌ) عِنْدَنَا دِيُونٌ وَعِنْدَنَا طُلُبَاتٌ وَالْحَالَةُ صَعِبَةٌ، لَا بَيْعَ وَلَا شِرَاءَ فِي السُّوقِ.

(قَالَ لَهُ: الْخُفُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ فَعَاكَ اللَّهُ وَفَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا أُوْتِيْتَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، هَذَا قَارُونَ، هَذَا أُوْتِيْتَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، هَذَا أَبِي عَنْ جَدِّي لَيْسَ لِاحِدٍ فَضْلٌ فِيهِ.

(قَالَ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ إِلَيْهِ)

(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْآفَرَعِ بِصُورَةِ رَجُلٍ أَفْرَعٍ قَالَ لَهُ: عَبْدٌ فَقِيرٌ تَقَطَّعَتْ بِي السَّبِيلُ، لَا بَلَاعَ لِي إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ يَكُ، أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَعْطَاكَ هَذَا الشَّعْرَ الْحَسَنَ، بِقَرَّةٍ وَاحِدَةٍ أَتَبَلَّغَ بِهَا فِي سَقَرِي، قَالَ: الْخُفُوقُ كَثِيرَةٌ، فَقَالَ لَهُ: كَأَنِّي أَعْرِفُكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ أَفْرَعَ يَقْدِرُكَ النَّاسُ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ اللَّهُ؟ قَالَ: إِنَّمَا أُوْتِيْتَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، قَالَ: إِنْ كُنْتُ كَادِبًا فَصَيِّرْكَ اللَّهُ إِلَى مَا كُنْتُ إِلَيْهِ)

(ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْأَعْمَى قَالَ: رَجُلٌ فَقِيرٌ تَقَطَّعَتْ بِي السَّبِيلُ) جَاءَهُ بِصُورَةِ رَجُلٍ أَعْمَى.

(أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعْطَاكَ بَصْرًا تَبْصُرُ بِهِ النَّاسَ، جَمَلًا وَاحِدًا أَتَبَلَّغَ بِهِ فِي سَقَرِي، فَقَالَ الرَّجُلُ: وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَعْمَى فَزَدَ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي، وَفَقِيرًا فَأَغْنَانِي اللَّهُ، فَخُذْ مَا شِئْتُ) لَيْسَ جَمَلًا وَاحِدًا، خُذْ مَا شِئْتُ.

(قَوْلًا لَا أَجْهَدُكَ الْيَوْمَ بِشَيْءٍ أَخَذْتُهُ إِلَيْهِ) مَا أَمْنَعُكَ مِنْ شَيْءٍ، هَذَا مَالُ اللَّهِ لَيْسَ لِي فِيهِ شَيْءٌ.

(فَقَالَ: أَمْسِكْ عَلَيْكَ مَا لَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ) هَذَا امْتِحَانٌ.

(فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَسَخِطَ عَلَى صَاحِبَيْكَ) وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، إِذَا هَذَا هُوَ الْامْتِحَانُ.

(فَقَارُونَ مِثْلُ كَابِرٍ عَنْ كَابِرٍ (قَالَ إِنَّمَا أُوْتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي).

المهلكات الأربع

قالوا أربع مهلكات: أنا، ولي، وعندي، وما الرابعة؟ ونحن.

- أنا: (أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ) إبليس، فأخرج من الجنة (فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۚ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ * قَالَ قَاهِيْطُ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ
إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ

(سورة الأعراف: الآية 12)

- نحن: قوم مملكة سبأ، قوم بلقيس: (تَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ

(سورة النمل: الآية 33)

أنا ونحن مهلكة، لا تقل: أنا ونحن، قل: الله.
- ولي: فرعون: (أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي

(سورة الزخرف: الآية 51)

- وعندي: قارون: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) لا تقل: عندي، من أنت؟
عندي، من أنت؟ أين كنت حتى تقول عندي؟ من أين عندك؟ (إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي) ليس عندك شيء كله من الله.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ

(سورة القصص: الآية 78)

(أَوَلَمْ يَعْلَم) استنكاراً عليه.
(أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) و(الْقُرُونِ): القرن مئة عام ويشير إلى الأجيال المتعاقبة.



المهلكات الأربع

(أَوَّلِمَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا) تقول (عَلِمَ عِنْدِي) انظر إلى من كان أكثر قوة منك وأكثر جمعًا، يعني قارون (وَأَثْبَتَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَقَاتِلَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ) لكن ربنا عز وجل يشير في الآية إلى أن هناك من أهلك قبله كان أكثر منه جمعًا، فالدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة، ولو كانت تساوي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ.

{ عن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تُعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ { (رواه الترمذي)

ليس هناك قيمة للدنيا، اجمع ما شئت فعند الله لا قيمة لذلك.

المجرم لا يُسأل عن ذنبه بينما المؤمن يُسأل

قال: (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ الْمُجْرِمُونَ) لماذا لا يسأل المجرمون عن ذنوبهم؟ لأنهم يدخلون النار بغير حساب.



السؤال عن الذنب دليل حياة

مثال: شخص محكوم بالإعدام لأنه مجرم ارتكب جريمة قتل، وُضِعَ على حبل المشنقة فنادى وزير الداخلية لحظة، خيرًا يا وزير الداخلية؟ قال: يوجد عليه عشر دنائير مخالفة سير، هذا إعدام، الإعدام يجب ما قبله، لم يبق هناك مخالفة سير هذا سيعدم وانتهى.
فالذنوب هي الهفوات، الذنوب بالخلوات، المؤمنون يسألون عن ذنوبهم، عندما تُسأل هذا دليل على أنه فيك حياة، يعني يُسأل عن ذنبه. ورد في الحديث الصحيح:

{ إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ كَتَفَهُ عَلَيْهِ وَيَسْتَرْهُ فَيَقُولُ : أَعْرِفْ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ

قال سترئها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم {

(صحيح البخاري)

(إِنَّ اللَّهَ يُدَيِّى الْمُؤْمِنَ، قَيِّضَ عَلَيْهِ كَتَفَهُ وَيَسْتُرُهُ) إن الله تعالى يدني المؤمن يوم القيامة في كتفه ويستتره، ولله المثل الأعلى، يذنيه، يستتره.
(قَيِّضُ: أَنْعَرِفَ ذَنْبَ كَذَا؟ أَنْعَرِفَ ذَنْبَ كَذَا؟) يذكره بالذنوب.
(قَيِّضُ: تَعَمُّ أَيُّ رَبِّ) أذكره.
(حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ) يعني أقرَّ بذنوبه كلها.



الإعتراف سيد الأدلة

(وَرَأَى فِي تَقْيِيهِ أَنَّهُ هَلَكٌ) كيف رأى أنه قد هلك؟ مثال: أنت ذهبت لعند القاضي، ولله المثل الأعلى، قال لك: أنت ألم تفعل ذلك؟ قلت له: نعم، بلى، ألم تفعل ذلك؟ بلى، ألم تفعل ذلك؟ بلى، وقع على أقوالك، بعدما وقعت، أنظن نفسك ستذهب إلى القضاء أم إلى السجن؟! أقررت، الإعتراف سيد الأدلة.
(وَرَأَى فِي تَقْيِيهِ أَنَّهُ هَلَكٌ، قَالَ: عَيْدِي، سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَعْفُوهَا لَكَ الْيَوْمَ) هذا يُسأل عن ذنوبه، لكنه مؤمن موحد، فالله تعالى يسأله عن ذنوبه ثم يعفو عنها جلي جلاله، نسأل الله أن يجعلنا منهم، لكن المجرم يُسأل عن ذنوبه؟! هذه إهانة، هذا إكرام له إذا سئل على ذنوبه، يعني إذا هو مجرم وقاتل مليون شخص وقلت له: لماذا اغتبت فلاناً؟! لأنه مجرم، فقال تعالى:

يَسْمِ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ
وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ

(سورة القصص: الآية 78)

تهكمًا بهم، فإنهم سيدخلون النار مباشرةً دون سؤالٍ عن الذنوب، هذا معنى (وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) كما ذكر أهل العلم.
ونكتفي بهذا القدر، ونتابع قصة فارون إن شاء الله في لقاءٍ قادم.

والحمد لله رب العالمين